

الشعر الشعبي

و

فنون القول

obeikandi.com

الشعر الشعبي وفنون القول

لا أحد يمارى فى أن الشعر الشعبى هو ظاهرة أدبية فنية تتسم بسمات مماثلة لتلك التى يتسم بها الشعر الرسمى وذلك فى جميع البيئات والمجتمعات ، فللشعر الشعبى خصائص مميزة باعتباره نمطاً تعبيرياً قولياً يعتمد اللغة الشعبىة - بما هى حاملة لمنظومة ثقافية شعبية كاملة ومعبرة عنها - أداة للتشكيل الفنى فى علاقتها بأداة أخرى هى الإيقاع الموسيقى المحدد^(١) والشعر الشعبى المصرى هو واحد من الفنون القولية الراسخة ذات الملامح البيئية البارزة والذى يقابله فى الجزيرة العربية ودول الخليج ظاهرة الشعر النبطى ، وكلا هذين اللونين من الشعر يطلق عليهما أحياناً اسم «الشعر الملحون» .

وإذا كانت قد تعددت ألوان الشعر الشعبى فى جميع العصور - فى أدبنا القديم - فإن الأقدمين كانوا قد أخذوا من هذا اللون من الشعر موقفاً معادياً ومتزمتاً حتى أن بعضهم يختلفون فى

(١) د. صلاح الراوى : الشعر البدوى فى مصر .

النظر إلى الأرجاز (المكتوبة على بحر الرجز) فيعدونها شعرا شعبياً فيخرجها بعضهم عن نطاق الشعر ، ويخرج ألوانا من الرجز مثل المشطور والمنهوك وحدهما ، ويقبل بعضهم كونه شعرا ، ولكنه يحرمه مكانة الشعر وروعته ، فيقول إنه شعر منحط الدرجة^(١) ومجموع فنون النظم عند سائر المحققين سبعة فنون ، وهذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبداً لا يغتفر اللحن فيها ، وهى الشعر القريض . والموشح ، والدوبيت . . ومنها ثلاثة ملحونة أبداً ، وهى الزجل ، والكان ، والقواما . . ومنها واحد هو برزخ بينهما يحتمل اللحن والإعراب ، وإنما اللحن فيه أحسن وأليق ، وهو المواليا^(٢) .

- أما الشعر القريض فهو الشعر الذى قد ورثناه عن الجاهليين (وصدر الإسلام والأمويين والعباسيين) مثل المعلقات الجاهلية وسار على نهجه أبو تمام ، والبيحترى وابن الرومى وأبو العلاء والمتنبى وشوقى وحافظ وغيرهم .
- وأما الموشح فهو نوع من النظم ظهر فى آخر عهد المرابطين وفى عهد المثلثين وأطلقوا عليه اسم «الموشحات» وقيل أن أول من مارس هذا اللون من النظم هو «مقدم

(١) د. حسين نصار : الشعر الشعبى العربى .

(٢) صفى الدين الحلى : العاطل الحالى والمرخص الغالى .

أبن معافر الفريرى» أحد شعراء الأمير عبد الله بن محمد
المروانى (١) ومنه موشحة الحفيد بن زهر الإشبلى التى
يقول فيها :

«أيها الساقى إليك المشتكى

قد دعوناك وإن لم تسمع

ونديم همت فى غرته

وشربت الراح من راحته

كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق إليه واتكا

وسقانى أربعا فى أربع»

إلى آخرها .

● ومنها أيضًا موشحة ابن سناء الملك الشهيرة التى يقول

«كللى . . ياسحب تيجان الربا

بالحلى . .

واجعلى . سوارها منعطف

الجدول» .

إلى آخرها .

(١) ابن خلدون : المقدمة .

● وأما الدوبيت فهو ضرب مشهور من المشوحات يسمى الرباعي أو الدوبيت^(١) ومعناه « بيتان من الشعر » فالكلمة تتكون من مقطعين « دو .. بيت » وهو نسق موسيقى فارسي ومنه الموشحة المشهورة التي تقول :

« ياغصن نقا .. مكللا بالذهب
أفديك من الردى .. بأمى وأبى
إن كنت أسأت فى هواكم أديى
فالعصمة لا تكون إلا لثيى » .

ومنه أيضًا موشحة البهاء زهير (وهى من مجزوء هذا البحر) والتي تقول :

« يا من لعبت به شمول
ما أطف هذه الشمايل
نشوان يهزه دلال
كالغصن مع النسيم مايل »
إلى آخرها .

● وأما « الزجل » فهو أحد الفنون القولية الملحونة وهو أرفعها رتبة ، وأشرفها نسبا ، وأكثرها أوزانا ، وأرجحها

(١) عبد الستار سليم : فنون الواو - الموالم - الموشح الصادر عن اتحاد الكتاب .

ميزانا، ولم تنزل إلى عصرنا هذا أوزانه متجددة وقوافيه متعددة^(١) وهو الذى تصاغ منه أغاني الأفراح وأغاني ، الطفولة ، وأغاني البناء ، وأناشيد الحروب والنواح والعديد، والذى من ضمن مبدعيه الكبار فى العصر الحديث «بيرم التونسى» ولقد تطور متأثرا بقصيدة الفصحى من حيث المضامين والتراكيب ، ومن ثم أطلقوا عليه اسما جديدا هو شعر العامية . .

وقد اتفق الدارسون على أن مخترعيه أهل الأندلس ، وقيل سموه بالزجل ؛ لأنه لا يلتذ به وتفهم مقاطع أوزانه ولزوم قوافيه ، حتى يُعنى ويصوت فيزول اللبس بذلك^(٢) وانتشر هذا الاسم بين الناس بالرغم من أن أهل بغداد سموا هذا الفن «الحجازى»^(٣) وهذا الفن القولى يستطيع ناظمه أن يتجول بكثير من الحرية بين أوزانه وقوافيه . . لدرجة أن الناظم يستطيع فيه الاستعانة باللغة الفصحى أحيانا . . فإذا اختلطت فيه العامية بالفصحى فيسمونه - حيثئذ - «بالمزتم» ومعناه المهجن أو المستلحق - لا الأصيل - كما يسمى أيضا «المزبلح»^(٤) .

(١) صفى الدين الحلى : العاقل والمرخص الغالى .

(٢) صفى الدين الحلى : العاقل الحالى والمرخص الغالى .

(٣) د. حسين نصار : الشعر الشعبى العربى .

(٤) د. حسين نصار : المرجع السابق .

ومنه قول أحمد رامى (الذى غتته أم كلثوم)

«من كثر شوقى سبقت عمرى

وشفت بكره والوقت بدرى»

ويقول :

«فضلت أعيش بقلوب الناس

وكل عاشق قلبى معاه

شربوا الهوى وفاتولى الكاس

من غير نديم أشرب وياه»

والزجل قبل أن يسمى زجلا (قال معظم المؤرخين أن «ابن قزمان» كان أول زجال^(١) كان يسمى «عروض البلد» . . وكان أول من استحدثه - أى عروض البلد - رجل من الأندلس نزل بفاس ، ويعرف بابن عمير^(٢) .

ولما خرج الزجل من الأندلس إلى سائر أرجاء الوطن العربى استقبلته بعض الأرجاء بفتور ولكن المصريين أعجبوا به . . تساوى فى ذلك العامة والخاصة . . وكان أكثرهم من الطبقة ذات الشأن الرفيع فى العلم وفى مناصب الحكم وفى المراكز الاجتماعية ، وهذا لم يمنع طائفة كبيرة من ذوى الأقدار

(١) أبو بيثة : الزجل العربى . (٢) مقدمة ابن خلدون .

المتواضعة من أن يمارسوا نظمه^(١) منذ القرن الثامن عشر .

ظل الزجل يزدهر في مصر من أواخر القرن الثامن عشر . .
وظهرت أسماء عديدة من ناظمي هذا اللون القولي الجديد ،
منهم ناصر الغيطي ، والغباري ، وصفى الدين الحلبي (صاحب
المؤلف المشهور : «العاطل الحالى والمرخص الغالى») ، وابن
عروس ، ومحمد عثمان جلال ، وعبد الله النديم ، وإسماعيل
صبرى ، وحفتى ناصف ، والشيخ الفحام ، والشيخ عبد الله
لهليها ، ومحمد الدرويش ، والشيخ حسن الآلاتى والشيخ
النجار ، وغيرهم كثيرون ممن كان لهم مقدرة فائقة ومعرفة تامة
بأوزان الشعر ، ومنهم من تحول إلى نظم الزجل بعد أن كسدت
تجارته فى شعر الفصحى ولم يجد عليه إقبالا من الناس -
لأسباب لا مجال لسردها هنا - ولقد تغنى بهذه الأزجال مطربو
ذلك العصر منهم عبده الحامولى ، ومحمد عثمان ، والشيخ
يوسف المنيلوى^(٢) .

وظلت مصر مصر تقدم للساحة الزجلية - على مر السنين -
زجالين يعجز عنهم الحصر . . ففى أوائل القرن العشرين ظهر
إمام العبد ، وخلييل نظير ، وحسين شفيق المصرى ، ويبرم

(١) أبو بيثنة : مرجع سابق . (٢) أبو بيثنة : مرجع سابق .

التونسي ، ومحمود رمزي نظيم ، وحسين المانسترلي ، ومحمد عبد النبي ، وحتى عصر محمد توفيق صاحب جريدة «حمارة ميني» عام ١٩٠٠م ، الشيخ جاد علوان (العالم الأزهرى وشيخ الطريقة وصاحب صيدلية وزجال) وصولاً إلى صالح جودت وأحمد رامى وأحمد شوقى - أمير الشعراء - وحسين على وأبو بثينة وغيرهم من الزجالين المجيدين وبانهيار الدولة الأموية - وهى الدولة التى تمسكت بكل ما هو عربى من الحفاظ على اللغة والعادات العربية - وقيام الدولة العباسية على أكتاف الفرس حيث أسبغت ظلها عليهم واحتضنتهم ، فراحت اللغة الفصحى تتقهقر ، وأخذت العامية تزداد توسعاً وانتشاراً . . ولما لم يقتصر نفوذ اللغة الفارسية على العراق ، حيث تسرب . - أيضاً إلى شبه الجزيرة نفسها ، وظهر ظهوراً لافتاً للنظر فى المدينة وما حولها من البلدان العربية - كما لاحظ الجاحظ - ^(١) فعجز الشعراء عن الإلمام باللغة الإلمام الشامل فسامهم اللغويون والنحويون «بالمولدين» فابتكر أهل واسط فن «الموالي» - وسط مدينة عراقية أنشأها الحجاج الثقفى بين الكوفة والبصرة سنة ٨٢هـ ^(٢) ؛ حيث اقتطعوه من

(١) د. حسن نصار : الشعر الشعبي ص ١١٢

(٢) مسعود شومان : الخطاب الشعرى فى الموالم ص ١٦ .

بحر البسيط بيتين ، وهذا يشابه الزجل فى كونه ملحونا وأنه أقفال ، كل أربعة منها بيت ^(١) (القفل هو الشطر) .

• الكان وكان :

هو قالب قولى ملحون نشأ وترعرع فى بغداد ثم تداوله الناس فى البلاد وقد نظموا فيه الحكايات والخرافات ، ولذلك سُمى الكان وكان ^(٢) ولكنه كغالبية الفنون القولية الأخرى أحبه الناس - شعراء وجمهورا - فانتشر ، فنظموه فى موضوعات مغايرة . فلقد كان ضمن من أحبوه مجموعة من رجال الدين فنظموا فيه المواعظ والرقائق ، والزهديات ، والأمثال ، والحكم ، فتداولها الناس ^(٣) لأن الوعاظ كانوا يعتمدون فى أقوالهم على قصص الأنبياء والأولياء والصالحين وأخبار الماضين ، وتحتفظ القصيدة من هذا القالب القولى بوزن واحد - فى جميع أبياتها - كائنا ما كان هذا الوزن . ولكنها تجعل الشطر الأول - فى داخل هذا الوزن - أطول من الشطر . كذلك يلتزم شاعر الكان وكان بأنه يضع قبل الروى أحد

(١) صفى الدين الحلى : مرجع سابق .

(٢) د. حسين نصار : مصدر سابق .

(٣) صفى الدين الحلى : مرجع سابق .

حروف العلة ليكون ردفا له . . مثلما جاء في قول

الشاعر :

«ياقاسى القلب ما تسمع وما عندك خبر
ومن حرارة وعظى قد لانت الأحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل ما لا ينفك
ليتك على ذى الحالة تقلع عن الإصرار
تحضر ولكن قلبك غايب وذهنك مشغل
فكيف يامتخلف تحسب من الحضار»

نلاحظ هنا أن طول الشطرة الأولى يفوق طول الشطرة الثانية
وحرف الردف هنا هو حرف الألف اللينة قبل «الراء» الذى هو
حرف الروى .

● القوما :

ذهب الكثير من الباحثين الذين قاموا بالتأريخ لفنون
القول السبعة إلى نسبة فن القوما إلى أهل بغداد وذلك في
زمن دولة الخلفاء من بنى العباس رضى الله تعالى عنهم
برسم السحور في شهر رمضان (١) .

(١) صفى الدين الحلى : مصدر سابق .

واشتقاق اسمه من قول المغنين للتسحير في آخر كل بيت منه : قوما للسحور ، ينيهون به رب المنزل ، فانطلق هذا الاسم وصار علما عليه ، وقد أطلق أهل الشام ومصر والمغرب على هذا الفن اسم الحماق ، وليس من الواضح سبب هذه التسمية^(١) . وقيل أن أول من اخترعه من البغداديين «ابن نقطة» يرسم الخليفة الناصر ، والصحيح أنه مخترع من قبله^(٢) وكان الناصر يطرب له ، فلما توفي ابن نقطة « وكان له ولد صغير ماهر في نظم القوما والغناء به ، جاء في أول ليلة من رمضان تحت قصر الخليفة وغنى بصوت رقيق قوله من هذا الفن .

يا سيّد السادات .. لك بالكرم عادات

أنا بُنيّ ابن نقطة .. تعيس .. أبي قدمات^(٣) .

وينقسم القوما إلى نوعين :

الأول يتألف البيت^(٤) منه من أربعة أفعال (أى أربعة أشطار)

تتفق ثلاثة منها في الوزن والقافية أما القفل الرابع فأطول منها وتهمل قافيته .

(١) د. حسين نصار : مصدر سابق .

(٢) صفى الدين الحلبي : مصدر سابق .

(٣) صفى الدين الحلبي : مصدر سابق .

(٤) البيت يقصد به «القولة» الكاملة .

وفى النوع الثانى يتألف البيت من ثلاثة أفعال تتفق فى القافية ولكنها تختلف فى الوزن ؛ حيث تتدرج فى الطول ، فالقفل الأول أقصر من الثانى والثانى أقصر من الثالث .
ويلاحظ أن كل بيت من النوعين يقوم بنفسه .
- فلا يحتاج إلى ما قبله أو ما بعده - كالمواليا والدوبيت ولما كان القوما وضع للتسحير فى رمضان ولكن ناظموه نظموه فى الغزل ووصف الحدائق والأزهار وغير ذلك من الأغراض الشعرية .
ومن النوع الأول يقول صفى الدين الحلبي ^(١) ليتغنى به المسحرون .

لا زال سعدك جديد

دايم وجدك سعيد

ولا برحت مهنى

بكل صوم و . . عيد

ويقول صفى الدين الحلبي فى كتابه «العاطل الحالى

والمرخص الغالى» : فى ص ١٣٠

ومما نظمته فى الوزن الثانى على عدد وحروف المعجم

واللزوم للحرف الذى قبل الألف :

(١) د. حسين نصار : مرجع ص ١٣١ وفى العاطل الحالى والمرخص

الغالى ص ١٣٠

كنا مالك
دون إخوانك وألك
سأيتنا الله يجعلو أول سؤالك
راموا قتالك
والأذى منهم أتى لك
وما نفع عنا انحرافك وانفتالك
ضدك رنى لك
من خضوعك وامتالك
لمن تجدد مثلو ، وما يلقي مثالك

● الموال :

إذا كان الزجل لم يظهر طفرة ، بل نشأ انحدارا من العربية الفصحى إلى العربية المشوبة بغير الفصحى ، ثم إلى العربية المختلطة بالعامية والأعجمية ، وكان هذا التسلسل أمر لا بد منه ؛ لأن العربية في الأندلس مرت بمراحل ثلاث : أولاها مرحلة دولة المرابطين ، والتي في عهدها كانت اللغة سليمة فصيحة ، ثم مرحلة دولة الملمين ، وفيها اختلطت العربية بغير العربية ، فظهرت الموشحات ثم جاءت دولة الموحددين في أوائل القرن السابع الهجرى فكانت القرون الثلاثة التي مرت على دولتي المرابطين

والمثلثين كافية لإشاعة الفساد في العربية الفصحى ، وكانت الموشحات قد بدأت تتحول إلى أزجال منذ القرن الخامس الهجرى (الموشحات بدأت بالعربية الفصحى كما نعلم) فالموشح لغته فصحي أما الأزجال فهي لغة دارجة ، فحق لنا أن نقول إن الموشحات الأندلسية كانت توطئة لظهور الزجل . . (١) لجأ المولدون - في ذلك العصر - إلى نظم الأقاويل في أوزان غريبة لا تدخل في العروض ، وذلك عن طريق عكس دوائرها في البحور ، أو بشرط ما لا يجوز شطره منها ، أو بالتوافق بين أجزاء التفاعيل في بحور مستحدثة لا يعدها أصحاب العروض من الشعر العربى ، ومن هذه الأعاريض المستحدثة خرجت الفنون الشعرية كالموشح والزجل والدوبيت والموايا .

والموايا ، أو الموالي (بضم الميم وفتح الواو) أو الموال (بفتح الميم وتشديد الواو المفتوحة) كما اشتهر عند العامة - وبالذات فى مصر - نستطيع أن نقول : هو ضرب من الموشحات الذى لا يتم فيه الالتزام كثيرا بالإعراب (لذا يقال إن الموالي - من حيث اللغة - هو البرزخ بين الفنون القولية الثلاثة المعربة دائما ، والفنون القولية الثلاثة الملحونة دائما ؛ إذ إنه

(١) عبد الستار سليم : فنون الوار - الموالي - الموشح ص ٩

يحتمل اللحن والإعراب ، وإنما اللحن فيه أحسن وأليق^(١) . .
وأول ما اخترعاه الواسطيون (أهل واسط) اقتطعوه من بحر
البيسط الذي منه قول ابن زيدون :

«أضحى التنائى بديلا من تدانينا
وتاب عن طيب لقيانا تجافينا»
ومنه قول شوقي :

«قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا
لقتل نفس ولا جاء والسفك دم»
ومنه قول الخنساء :

« حمال ألوية هبّاط أودية
شهاد أندية للجيش جرار
أغر أبلج تأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار»^(٢)

وجعلوه معربا كالشعر البسيط ، إلا أنه كل بيتين أربعة
أقفال بقافية واحدة ، وتغزلوا به ، ومدحوا ، وهجوا ،
والجميع معرب ، إلى أن وصل إلى البغادة فلطفوه ،

(١) صفى الدين الحلى : مرجع سابق ص ٣

(٢) عبد الستار سليم - مرجع سابق ص ١١

ولحنوه (بفتح الحاء) وسلخوا فيه غاية لاتدرك (١) .

ويقول ابن خلدون :

وكان لعامة بغداد أيضا فن من شعر يسمونه المواليات وتحتة فنون كثيرة يسمون منها القوما وكان وكان ومنه مفرد ومنه في بيتين ويسمونه دوييت على الاختلافات المعتبرة عندهم في كل واحد منها وغالبها مزدوجة من أربعة أغصان وتبعهم في ذلك أهل مصر القاهرة وأتوا فيها بالغرائب وتبحروا في أساليب البلاغة بمقتضى لغتهم الحضرية فجاءوا بالعجائب (٢) . . ومنه قول الشاعر :

«طرقت باب الحبا . . قالت من الطارق

فقلت مفتون لا ناهب ولا سارق

تبسمت لاح لي من ثغرها بارق

رجعت حيران في بحر أدمعى غارق» (٣)

ولكن «مسعود شومان» لا يوافق ابن خلدون على إدراجه

لهذه الأنواع تحت المواليات (٤) ويقول :

ولقد تبعه رضا محسن حمود ، واصفا نصا ليس من الموالم .

(١) صفى الدين الحلبي - مرجع سابق ص٤

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٧٠٧

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق ص ٧٠٨

(٤) مسعود شومان : مصدر سابق ص ٣٩

ويقول «غطاس عبد الملك خشبة»^(١) «إن الموالم هو ضرب من الموشحات أيضا إلا أنه أردأ أصنافه ، ولا يلتزم فيه كثيرا بالإعراب ، وقد بدأ فى القديم على هيئة الرباعى ، ثم تطور إلى العامة ودخل عليه الجناس اللفظى فى عروضه وضربه حتى صار هذان من مميزاته ، وهو أربعة أصناف ، فما هو منه على هيئة الرباعى قد تتحد فيه القافية فى الأشطر الأربعة ، ومثاله :

«وحق يابدر تغريبك وتغريبى

لا تتبع النفس تغرى بك وتغرى بى

خلى المقادير تجرى بك وتجرى بى

وتنظر الناس تجريبك وتجريبى»^(٢)

وقد تختلف فيه قافية الشطر الثالث ، على هذا المثال :

«مالها سواقى الزمان دارت على الفاضى

هو القدوس المحرم ولا القدوس فاضى !؟

آه يا زمان العجب لما الذهب ينداس

وتعلّى شان الخرز . . ع التبر والفاضى»^(٣)

(١) غطاس خشبة : تطور الشعر فى الغناء العربى ص ٤٥

(٢) غطاس خشبة : مرجع سابق ص ٤٦

(٣) عبد الستار سليم : تقاسيم ع الربابة «إشراقات أدبية ص ٨١

والموال الرباعي هذا يسمونه «البغدادى» (١) .
وأما الموال الخماسى فيسمونه «الأعرج» وهو خمسة أشطر
تتحد فيها قافية الأشطر الثلاثة الأولى ويدخلها الجناس اللفظى ،
ثم تختلف فى الرابع ، ويختم بشطر قافيته من جنس الثلاثة
الأول ومثاله :

«قم فى دجى الليل ترى بدر السما طالع
معجب بتيهه وسعده فى العلا طالع
يا مدعى الحب خذلك فى الهوى طالع
واحسب حساب العذول من ضمن أشكاله
وان زاد بك الشوق فى كتب الهوى طالع» (٢)

ثم السداسى و يقال له : المرصع ، وهو ستة أشطر تتحد
فيه قافية الأشطر الثلاثة الأول ويدخلها الجناس ، ثم تختلف
قافية الشطرين الرابع والخامس ، ثم يختم بالسادس فى قافية
الثلاثة الأول على هذا المثال :

«يا ناس ما خابر دوايا راح وخالانى

(١) د. مصطفى رجب : التربية الشعبية فى المجتمع الريفى ص١٢

ود. أحمد مرسى : الأغنية الشعبية ص ١٣

(٢) غطاس خشبة : مرجع سابق ص٤٧

لاجرحى داوى ولا للغير خلانى
السقم والنوح جؤا القلب سالانى
لا أسهر أرتاح ولا أنعس يجينى نوم
أبات أجدد أنينى فى الدجى وحدى
ما حد جانى من أجبانى وسلانى»

والسداسى والرابعى كلاهما قليل الاستعمال فى مصر تأليفاً
وغناءً^(١) ثم السباعى ، ويسمى النعمانى ، وأهل العراق يسمونه
الزهيرى ، وهو يتألف من سبعة أشطر تتحد الثلاثة الأولى منها
بالجناس فى قافية واحدة ثم الثلاثة الأخرى التى تليها كذلك فى
قافية واحدة تختلف عن تلك ، ثم يُختم بالشرط السابع على قافية
من جنس الثلاثة الأول ، ويذهب أحمد مرسى إلى أن هذا النوع
الأخير من أكثر أنواع المواويل شيوعاً فى المجتمع المصرى^(٢)
ومثاله : (٣) .

«يادايق النوم أوصف لى أماراته
وسلفه جفن حكمت فيه أماراته
يا عاذلى فى الجميل عينك أما راته

(١) غطاس خشبة : مرجع سابق ص ٤٧

(٢) د. أحمد مرسى : الأغنية الشعبية ص ١٦

(٣) غطاس خشبة : مرجع سابق ص ٤٨

ما في ملوك المحاسن حد أمثاله
ينسى الحكيم فيه حكمه وأمثاله
والثلب بالطبع أصبح له وأمسى له
صابر على الهجر ما يشكى أماراته^١

نلاحظ - هنا أن الجناس يعد مظهرا من مظاهر الفنون الشعرية غير المعربة فالناظم يعطى الجناس أهمية كبيرة قبل المعنى ، ويبحث عن قرينة له خوفا من الإيطاء الذى يضعف شعره (الإيطاء : هو إعادة الكلمة فى التقفية بلفظها ومعناها ، وهذا يدل على قصر باع الشاعر وقلة محصلة اللغوى) كما لاحظنا أن القافية - فى الموال - لا تكون هى حرف الروى فقط - من الغصن - وإنما هى الكلمة الأخيرة منه ، لما قد تحمله تلك الكلمة من تورية ، أو هى قد تكون نتاجا لضم أو إدغام كلمتين فى كلمة واحدة ليتولد الجناس (التام أو الناقص) وهذا يتطلب مهارة كبيرة فى الحصيلة اللغوية ، وباللهجة الدارجة للمجتمع الذى يتلقى عنه الشاعر فنه ^(١) ومن السمات التى تميز الموال السبعوى (أو النعمانى) ظهور قافية الأغصان الرابع والخامس والسادس فى النصف الأول من الغصن السابع (الذى يسمونه غطاء الموال) ومثاله :

(١) صفوت كمال : الغناء الشعبى المصرى ص ٦٨

- ١- عليل اذارى فيك تقدر ياطيب تشوفيه .
- ٢- هات له دوا زين على الله ربنا يشوفيه .
- ٣- بيتمر بيه حال ويقرطع النبيان وشوفيه
- ٤- الرقدة طالت لا خلت له دراع ولا . . باع
- ٥- والدنيا هيا كده مين فيها اشترى ولا باع
- ٦- الطيب حمى محوار ، وجا فوق الوجع ولا باع
- ٧- مع كثر لوجاع . . هايقل النظر وشوفيه

فالموال السبعوى - هنا - تظهر فيه براعة الفنان فى القوافى (المقفولة) والتي تتكون من كلمات ذات تورية أو إدماج كلمتين واحدة تغلق على السامع المتعجل فهما ، ولكن إعمال الفكر فى تأمل النص المسموع يكشف ويظهر المعنى المقصود^(١)

فالدرع والباع ، والموحوار (وهو السيخ) المحضى الذى

(١) صفوت كمال : الغناء الشعبى المصرى ص٤٣

- ١- اذارى : معناها هنا «التجأ إليك» ، تشوفيه : تشوف إيه فيه ،
- ٢- يشوفيه : يشفيه .
- ٣- يقرطع النبيان : يجز على أنيابه ، وشوفيه : رشفايقه
- ٤- الرقدة : النوم ، باع : الباع هو طول المسافة بين نهايتى الذراعين عندما يفردان على آخرهما متعامدين على الجسم . . والمقصود هنا هو الإمكانية والجهد والقدرة =

يلبع الجلد فيعلم فيه . ولو جاع هي الأوجاع والنظر وشوفيه أى
النظر وشوفه .

والموال تناول أغراضا كثيرة فهناك الموال الاجتماعى
والموال القصصى والملحمى والمواويل ذات الغزل العفيف
والمواويل التى تحمل روح الدعابة المصرية وهناك ما يسمى
بالموال «اللُطش»^(١) وهو يعد نوعا من المباراة بين اثنين
ويشترط أن يكون فرسانه من أصحاب ملكة التأليف الفورى أو
حفظ الكثير من التراث ، ويستخدم للتسلية والتفكه عن طريق
المحاورة ، ومثاله :

إن كنت راجل وفنان

وتبان عليك الشطارة

= ٥- ولا باع : أى لا بد للإنسان من أن تتبادل عليه الظروف أى يوم له ويوم
عليه .. وهى التى يدل عليها التعبير الاستفهامى .

«مين فيها اشترى ولا باع : أى ولا باعش .

٦- حتى محوار : المحوار هو سيخ من الحديد يُحمى فى النار لدرجة
الاحمرار ، ولا باع معناها : .. لَبِعَ أى لسع .. ولسعة النار معروفة .

٧- وشوفيه : أى وشوفه .. والشوف هو القدرة على النظر بالعين

و.. لرجاع هنا بمعنى الأرجاع .. وهذه الكلمة هى مطابقة لفاقية الأشرط :
الرابع والخامس والسادس .. كما أسلفنا .

(١) د. مصطفى رجب : مرجع سابق

قول لى السما كام فدان

وادين عنها أماره

فهو يطلب من صاحبه - فى تحد - أن يحدد له مساحة السماء وسيصدق على كلامه إذا كانت إجابته صحيحة عن هذه المساحة ، وهنا يبرى الآخر ليوقع السائل (المحاور) فى شر أعماله فيرد بما هو أفسى

صلاة النبي تمنع إبليس

هى الفائدة و التجارة

اسحب قصبك وقيس

ووراك أنكث حجارة (*)

والقصة هى جريدة نخلة يابسة بطول معين لقياس ومسح الأراضى الزراعية (أى معرفة مساحتها) .. فهو يدعو لأن يحضر قصبته إذا كان « قياسًا » لقيس السماء ويقوم الآخر بتثكيت حجارة وراءه ، أى وضع علامات البيان الحدود .

ودخول «الموالي» مصر كان فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى ، أى فى الوقت الذى دخلت فيه الموشحات

(*) د . مصطفى رجب : مرجع سابق

والأزجال مصر من الأندلس فالتقى الأدب العامى المغربى
والأدب العامى المشرقى .

(لأن المواليا جاء من العراق أى من المشرق) فى مصر فى
وقت واحد ؛ حيث الاستقرار السياسى - فى مصر - والاهتمام
بالأدب والأدباء والشعر والشعراء .

وإذا كان هناك من يؤكدون أن الموال كان منشؤه فى بغداد -
فى عصر العباسيين وكان اسمه المواليا - فإنه مما لا شك فيه أن
مصر قد استقبلت فن الموال ووعته وهضمته وراحت تفرزه
بطريقتها الخاصة مصطبغا بالروح المصرية بعد أن أضافت إليه
إبداعاتها الخاص^(١) ..

يقول « أبو بئينة » : كلمة الموال بمعناها المعروف لدينا
لم ترد فى أى كتاب من كتب الأدب القديم الموثوق بها ،
لا فى العصر العباسى ولا بعده ولعلها لم تسمع إلا فى
مصر^(٢) .

ونظرا لتعدد الأغراض فقد ظهرت مسميات تصنيفية لها ،
فمنها ما يندرج تحت اسم «الموال الأحمر» وهو الموال الخاص

(١) عبد الستار سليم : مرجع سابق ص ١٣

(٢) أبو بئينة : الزجل العربى ص ٢٠

بالمقتال والفخر والتذكير بأمجاد القبائل والأسر الكبيرة ومشاهير الرجال ، ومن العنف والدم اكتسب اسمه ، ومنها ما يندرج تحت اسم «الموال الأخضر» الخاص بالتغنى للحب والغزل وذكريات الشباب والأيام الحلوة في البستان والحقل ، وربوع الأهل والأحباب (١) ..

ولقد أورد صفوت كمال - في كتابه الغناء الشعبي المصرى - تفسيراً آخر لمعنى تسمية الموال الأحمر في القول : نجد لونا آخر يؤدي بمصاحبة الرباب وينشده المغنى في حفلات الزواج والمناسبات العائلية ، وهو ما يندرج تحت نمط الموال السبعواى الأحمر ؛ نظراً للتورية في قافية الموال (٢) .

ونظراً لأن اللهجة العامية عند المصريين هي أقرب اللهجات جميعاً إلى اللغة الأم (العربية الفصحى) (٣) فإن ذلك أعطى للموال المصرى صفة الذبوع والانتشار والتنوع والتطور والازدهار .

(١) عبد الستار سليم : مرجع سابق ص ١٩

(٢) صفوت كمال : الغناء الشعبي المصرى ص ١٥

(٣) عبد الستار سليم : مرجع سابق ص ٢٠